أصدر أنور السادات اوامره الى اجهزة الاعلام الرسمية في مصر بتوسيع نطاق الحملات الهستيرية على الاتحاد السوفياتي ، وخاصة بعد مذكرة الرد السوفياتية على الغاء معاهدة الصداقة والتعاون المصرية ـ السوفياتيه من جانب الرئيس المصري.

وفي الوقت نفسه ، بدأت اجهزة الاعلام السوفياتية هجوما شديدا لاول مرة على سياسة السادات .

وكان الغاء معاهدة الصداقة مع السوفيات خطوة فاصلة من جانب السادات لتكريس سياسة بدأ تطبيقها منذ وقت طويل ، ومع ذلك فقد كان لهذا الالغاء اصداء عالمية واسعة.

ما هي قصة تدهور العلاقات بين موسكو والقاهرة منذ بدايتها ؟ وأين يكمن « الخطأ » في هذه العلاقات ؟

هذا ما يحاول التحقيق التالي الاجابة عليه .

قصة تدهور العلاقات بين موسكو والقاهرة

بقلم : محمد عثمان

بدأ تدهور العلاقات بين الاتحاد السوفياتي والنظام المصري عندما أعلن أنور السادات في ٤ شباط عام ١٩٧١ « مبادرته » الشهيرة بمد أجل وقف اطلاق النار وتطهير قناة السويس واعدادها للملاحه في مقابل انسحاب جزئي للقوات الاسرائيليه من الضفه الشرقية للقناة .

وكانت هذه « المبادرة » هي أول تحرك سياسي يقوم به السادات بعد وفاة جمال عبد الناصر .

وظهرت شكوك السوفيات في نوايا السادات مع اعلان هذه المبادرة عقب اجتماع الرئيس المصري مع وليم روجرز وزير الخارجيه الاميركي السابق الذي كان قد جاء الى القاهرة للاشتراك في جنازة عبد الناصر ممثلا لحكومته .

وترددت شائعات كثيرة في مصر حينئذ حول ما دار في هذا اللقاء بين السادات وروجرز وصلت الى حد الاشارة الى ما يدين الرئيس المصري . وألمح معارضو السادات داخل قيادات الاتحاد الاشتراكي المصري الى ان حجم تراجع الرئيس المصري كان « كبيرا » في التصريحات التي أدلى بها الى روجرز .

ولم تنجح تلك « المبادرة » بسبب تعنت الموقف الاميركي ـ الاسرائيلي. وكان ثمه اتجاه قوي داخل القيادات السياسيه المصريه ، في ذلك الوقت، يعارض في طرح هذه « المبادرة » ويدعو لاستئناف حرب الاستنزاف .

رسالة الى واشنطن

وزاد من الشكوك في موقف السادات ذلك الحديث الذي دار بينه وبين كمال أدهم مستشار الملك السابق فيصل والمشرف على الاستخبارات السعودية . فقد قال السادات لكمال ادهم انه « اذا تمت المرحله الاولى من مراحل الانسحاب الاسرائيلي ، فانني استطيع ان اعد باخراج الروس من البلاد » !

ووجه كمال أدهم سؤاله الى السادات عما اذا كان يستطيع ان يبلغ ذلك للاميركيين . فأجابه السادات بالايجاب . وعرف السوفيات بما دار في هذا الحديث من خلال تصريحات علنيه ادلى بها السناتور الاميركي جاكسون .

وبلغ الصدام ذروته بين مجموعه علي صبري وشعراوي جمعه وبين السادات . وقيل ايامها ان السبب هو الخلاف على مشروع الوحدة مع ليبيا . غير ان الواضح ان الصراع الرئيسي كان يدور حول السلطة . فقد كانت المجموعة المعارضة للسادات (الاغلبيه الساحقه للجنه التنفيذيه العليا للاتحاد الاشتراكي) تأخذ عليه انه يسعى للانفراد بالسلطه دون الرجوع اليها في الوقت الذي بدا فيه يتخذ خطوات اعتبرتها هذه المجموعة تراجعا عن سياسة عبد الناصر .

وكان الخلاف واضحا بين مجموعه علي صبري والسادات حول موضوع رفع الحراسات عن الاقطاعيين السابقين .

وكان السادات ، في ذلك الوقت ، يستخدم مشروع الوحدة مع ليبيا لمحاولة دعم مركزه في الداخل لكي يتملص من المشروع برمته فيما بعد .

وحسم هذا الصراع بانقلاب قام به السادات للاطاحه بالمجموعة المعارضة له بكاملها والزج بها في السجن . واطلق السادات على هذا الانقلاب اسم « ثورة مايو ـ ايار » التصحيحية .

وفوجيء السوفيات بهذا الانقلاب الذي أدى الى اختفاء كل الرجال تقريبا (الذين تصدوا للمسؤوليه السياسيه في مصر خلال حكم عبد الناصر) من المسرح السياسي .

ومن الواضح ان هذا التغيير عزز شكوكهم في الخط السياسي الذي ينوي السادات انتهاجه في مصر خاصة بعد أن تسربت معلومات موثوق بها تشير الى ان حركة السادات الانقلابية تمت بطلب من الاميركيين .

وكان أحد العناصر الرئيسيه في « تنفيذ » هذا الانقلاب هو الفريق محمد صادق رئيس الاركان في الجيش المصري ، في ذلك الوقت ، والذي اشتهر بعدائه الشديد للسوفيات وتحريضه للضباط والجنود ضد الخبراء السوفيات وتشهيره بالاسلحة السوفياتية .

حقيقة « التحالف الاستراتيجي »

وقيل بعد ذلك ان اتفاقية الصداقة والتعاون المصرية ـ السوفياتية جاءت نتيجة رغبه متبادله من الطرفين السوفياتي والمصري في ان يثق كل منهما بالاخر حيث ان هذه الثقة كانت مفقودة .

فقد قبلت موسكو العرض الذي سبق أن قدمه جمال عبد الناصر ثم السادات بالحاح لعقد هذه الاتفاقيه بين البلدين .

وكانت موسكو ، قبل ذلك ، غير متحمسه للعرض من زاويه انه يمكن توطيد العلاقات بين البلدين وتصعيد التعاون السياسي والاقتصادي والعسكري بينهما دون حاجة الى مثل هذه الاتفاقيه .

وظهر فيما بعد ان عدول السوفيات المفاجيء لعقد هذه الاتفاقية اثار شكوك السادات ! وحجته في ذلك : لماذا رفضوا في البداية ثم عادوا وطلبوا عقد الاتفاقية أو المعاهدة بعد تصفيه مجموعه علي صبري ؟!

والحقيقة ان ايديولوجية المجموعة الحاكمة في مصر كانت ترتكز في نظرتها الى العلاقات مع الاتحاد السوفياتي على أساس انه يجب « توريط موسكو في النزاع العربي ـ الاسرائيلي كوسيلة للضغط على واشنطن لانتزاع بعض التنازلات من اسرائيل » . وكل ما كانت تردده هذه المجموعة الحاكمة عن « التحالف الاستراتيجي » بين مصر والاتحاد السوفياتي كان مجرد شعار اجوف لا يستهدف الا التضليل . كما ان نظرتها الى المعونة السوفياتية كانت ترتكز على ان هذه المعونة سوف تؤدي الى اعادة بناء القوات المسلحة ، وهذا هو كل ما يشغل اهتمام المجموعة الحاكمة التي تتخذ موقف المعارضة لاشراك الجماهير في المعركة .

غير ان توقيع اتفاقيه الصداقة والتعاون المصرية ـ السوفياتيه في ٢٧ أيار عام ١٩٧١ كان يشير ـ وفقا لظواهر الامور ـ الى بدء مرحلة من التحسن الكبير في العلاقات بين القاهرة وموسكو .

« عملية » في السودان

ولكن .. جاءت احداث ١٩ تموز عام ١٩٧١ في السودان وقدم السادات دعما عسكريا للرئيس نميري . وتم قمع الانتفاضة العسكرية التي قام بها الرائد هاشم العطا واعادة نميري الى السلطة . واستخدم نميري العنف الدموي ضد القوى المعارضه . وطاب السوفيات من السادات التوسط لانقاذ حياة شفيع أحمد الشيخ رئيس اتحاد نقابات العمال في السودان الذي كان يشغل في نفس الوقت منصبا قياديا في اتحاد النقابات العالمي .

ويبدو ان السادات وعدهم بذلك ، ولكن السوفيات تأكدوا من انه لم يفعل وانه ترك شفيع أحمد الشيخ لكي ينفذ فيه حكم الموت . وقيل ان السوفيات علموا بما جرى في المكالمة الهاتفية بين السادات ونميري ، بل وكان السادات يريد أن يطمئن على انه تم اعدام عبد الخالق محجوب زعيم الحزب الشيوعي السوداني : حيث ان الرئيس المصري كان يرى أن « محجوب أكثر خطورة » !

وعادت الجفوة الى العلاقات السوفياتيه ـ المصرية لتشل التعامل بين البلدين لفترة من الوقت .

فقد ادرك السوفيات ان السادات يريد ان يلعب دور قوة التدخل أو الردع التي تستخدمها الولايات المتحدة في المنطقة العربية ضد النظم التي لا ترضى عنها واشنطن .

وبعد مرور وقت على احداث السودان ، بدأت اتصالات من الجانبين لاذابة الثلوج التي تراكمت على العلاقات بين البلدين . وعادت العلاقات الى اجواء « عادية » ، غير ان موقف السادات في احداث السودان ترك جرحا غائرا في العلاقات السوفياتية ـ المصريه .

دور الامير سلطان

وكانت أخطر ضربة وجهها السادات لهذه العلاقات ، في تموز عام ١٩٧٢ ، عندما اصدر قراره باخراج الخبراء السوفيات العاملين في مصر .

وقد أصدر السادات هذا القرار اثناء اجتماع بينه وبين السفير السوفياتي في القاهرة على اثر قراءته لخطاب مرسل اليه من الزعيم السوفياتي بريجنيف .

وعندما أوفد السادات رئيس وزرائه ، في ذلك الوقت ، الدكتور عزيز صدقي الى موسكو ليتباحث مع السوفيات حول اصدار بيان مشترك يتضمن « الاتفاق » على سحب الخبراء السوفيات بهدف تخفيف رد الفعل في موسكو تجاه القرار ، الذي اعلنه السادات قبل أي اتفاق ، .. رفض بريجنيف اصدار هذا البيان وقال « ان القاهرة هي التي اتخذت القرار ، ولسنا نحن » .

وخرج الخبراء السوفيات من مصر بسرعة قياسية . واثارت هذه الخطوة ، من جانب السادات ، صدمة كبيرة لدى السوفيات . وبعث بريجنيف من بدايه شهر آب عام ١٩٧٢ برسالة الى الرئيس المصري جاء فيها : « اننا لا نستطيع ان نقف موقف اللامبالاة من الاتجاه الذي تسير فيه جمهورية مصر العربية ، لان ذلك امر يخص المصالح المشتركة للسوفيات والشعوب العربية معا . ولعلكم تذكرون ان القيادة في كل من بلدينا قد اتفقت على ضرورة الحاجة الى تقوية زحفكم الى الامام وتدعيمه، وزحف كل القوى التقدمية في الشرق الاوسط . ونشعر بان من حقنا أن

جمال عبد الناصر : صانع العلاقات مع السوفيات

كوسيجين : صور للثغرة الاسرائيلية